ابن الخلنجي ومحاولة إحياء الدولة الطولونية

(٢٩٢-٢٩٣هـ/ ٩٠٥-٩٠٦م)

دكتور

حمادة محمد السيد مجاهد

مدرس التاريخ الإسلامي - كلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

الملخص

كان سقوط الدولة الطولونية في عهد الخليفة العباسي المكتفي بالله(٢٨٩- ٢٩٥هـ/ ٩٠٢- ٩٠٨م)

الذي تكللت جهوده في تقليم أظافر الطولونيين وضربهم وزعزعة الثقة بهم في مصر، كما أن العباسيين لم يكونوا مخلصين أبداً لهذه الدولة، ولم يشعروا بالراحة لقيامها، لذلك لم يحترموا المواثيق والوعود وعملوا دائماً علي إثارة الشغب وضرب الطولونيين بمختلف السبل حتي أسقطوا هذه الدولة،

لذلك كانت الخلافة العباسية تنتظر الفرص المواتية وتعمل لصالحها ضد الطولونيين.

وقد استغلت الخلافة العباسية التدهور الاقتصادي والعسكري للدولة الطولونية في مصر فعملوا علي

استنزاف خيراتها ومواردها بكافة السبل، الأمر الذي عجّل بالمصير الطولوني في مصر.

وقد أدت هذه العوامل إلي قيام أحد ضباط الجيش الطولوني هو إبراهيم الخليجي أو ابن الخلنجي،

الذي كان هو وثورته رمزاً للروح الاستقلالية التي تطلع إليها المصريون، فعبّر عنها بثورته المسلحة

محاولاً إعادة مصر وقيام الدولة الطولونية مرة أخري.

وقد بدت بوادر نجاح هذه الثورة بعدة انتصارات علي الجيوش العباسية، وأُعجب المصريون بقائدها،

ورغم أنه أعلن التبعية للخلافة العباسية إلا أن الخلافة اعتبرت ذلك خروجاً عن طاعتها، فتم القبض

علي ابن الخلنجي بعد تعرضه لمؤامرة كبيرة وذلك سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م بعد نزاع استمر ما يقرب من

ثمانية أشهر بينه وبين الجيوش العباسية وعادت مصر ولاية عباسية مرة أخري.

الكلمات المفتاحية: الدولة، الخلافة ، العباسية، الطولونية، الخلنجي.

حمادة مجاهد

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالزقازيق،

جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

Hamadamegahed25@azhar.edu.eg

Abstract:

The fall of the Tulunid state was during the reign of the Abbasid Caliph Al-Muktafi Allah (289-295AH/902-908ADwhose efforts culminated in clipping the nails of the Tulunids, beating them, and undermining confidence in them in Egypt, just as the Abbasids were never loyal to this state, and did not feel comfortable with its establishment, so they did not respect the covenants and promises and always worked to stir up riots and beat the Tulunids in various ways until they overthrew this state Therefore, the Abbasid Caliphate was waiting for favorable opportunities and working in its favour against the Tulunids.(

The Abbasid Caliphate took advantage of the economic and military deterioration of the Tulunid state in Egypt, so they worked on it.The depletion of its wealth and resources by all means, which precipitated the Tulunid fate in Egypt These factors led to the establishment of one of the Tulunid army officers, Ibrahim al-Khaliji or Ibn al-Khilji.

Which he and his revolution symbolized the independence spirit that the Egyptians aspired to, so he expressed it by his armed revolution Trying to restore Egypt and establish the Tulunid state again Signs of the success of this revolution appeared with several victories over the Abbasid armies, and the Egyptians admired its leader.

Although he declared subordination to the Abbasid caliphate, the caliphate considered this a departure from its obedience, so the caliphate was arrestedAli Ibn al-Khilji after being exposed to a great conspiracy in the year 293 AH / 906 AD after a dispute that lasted for nearly a year Eight months between him and the Abbasid armies, and Egypt returned to the Abbasid state again.

Keywords: the state, the caliphate, the Abbasids, the Tulunids, the Khilji.

Hamada Mujahid

Department of History and Civilization, Faculty of Arabic language, Al-Azhar University, Zagazig, Egypt.

Hamadamegahed25@azhar.edu.eg

مقدمة

كانت مصر ضمن الولايات التى انفصلت عن كيان الدولة العباسية وقيام الدولة الطولونية فى مصر سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، إلا أن الظروف السياسية اجتمعت لإنهاء الدولة الطولونية فى مصر، ففى عهد الخليفة المكتفى بالله العباسى (٢٨٩-٢٩٥هـ / ٩٠٨-٩٠٨م) سقطت هذه الدولة سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، حيث دخلت الجيوش العباسية القطائع عاصمة الطولونيين فى مصر بقيادة القائد محمد بن سليمان فى ولاية شيبان الطولوني وهو خامس الولاة الطولونيين فى مصر، وكانت الفوضى تعم البلاد، حيث استطاع محمد بن سليمان القبض على أفراد الأسرة الطولونية وقيدهم بالسلاسل والأغلال وبعثهم إلى بغداد وحبسهم وأخذ أموالهم وأزال بقايا الدولة الطولونية وهدم وخّرب كل آثار الطولونيين، ونتيجة لما قام به القائد محمد بن سليمان من أعمال تدعو للحزن والأسى قام أحد الضباط ويدعى محمد بن على الخلنجى بثورة مسلحة لإعادة إحياء الدولة الطولونية فى مصر إلا أن هذه المحاولة باءت فى نهاية الأمر بالفشل لأسباب عدة وعودة مصر ولاية عباسية مرة أخرى.

هذا الحدث الغير عادى يجعلنا نتوقف ونتساءل: ما هى الظروف التاريخية التى أدت إلى سقوط الدولة الطولونية فى مصر، وما هى الأسباب التى أدت إلى فشل محمد بن على الخلنجى فى محاولة إحياء الدولة الطولونية، وعادت مصر مرة أخرى للحكم العباسى المباشر.

هذه التساؤلات كلها فى هذا البحث جاءت تحت عنوان:

ابن الخلنجى ومحاولة إحياء الدولة الطولونية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وخاتمة بينهما ثلاثة مباحث ثم قائمة للمصادر والمراجع.

خطة البحث:

المبحث الأول: سقوط الدولة الطولونية وعودة مصر ولاية عباسية

المبحث الثانى: ثورة محمد بن على الخلنجى ومحاولة إحياء الدولة الطولونية

المبحث الثالث: عودة مصر ولاية عباسية مرة أخرى

المبحث الأول

سقوط الدولة الطولونية وعودة مصر ولاية عباسية

كان لضعف الطولونيين والوهن الذى حل بهم فى مصر أثر واضح وكبير فى تحريك كل القوى العاملة ضدهم فى المنطقة، وكانت الخلافة العباسية هى العقل المسيطر والمدبر لكافة هذه القوى حتى قُدّر لها فى النهاية إزالة هذه الدولة من الوجود(١).

ففى عهد الخليفة العباسى المعتضد بالله(٢) (٢٧٩ – ٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) كانت الدولة قد قطعت شوطاً كبيراً فى الاستقرار السياسى والغنى المادى والإصلاح الإدارى، وامتاز عهده بمباشرته لكافة

(١) د/ جيهان ممدوح مأمون: الدولة الطولونيه والإخشيدية فى مصر، تقديم د/ قاسم عبده قاسم – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩. ص ٢٩-٣٠؛ د/ عبدالهادى محمد حمدان: محاضرات فى تاريخ مصر الإسلامية (بدون) ص ١٥٣.

(٢) هو أحمد المعتضد بالله أبو العباس ابن ولى العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد فى ذو القعدة وقيل فى ربيع الأول سنة ٢٤٢هـ/٨٥٧م، كان ملكاً شجاعاً ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة من أفراد خلفاء بنى العباس، أحسن سياسة رعيته ونشر العدل بينهم كما كان شديداً على ولاته فكانوا يتقون سطوته ويعدلون فى الرعية خوفاً منه.(ابن الأثير على بن محمد الجزرى توفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٢٣م): الكامل فى التاريخ، دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧م، جـ٦ ص ٨٤ – ٨٥؛ الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى توفى سنة ٣١٠هـ – ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق / محمد أبو الفضل – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م، جـ ١٠، ص ٦٩؛ د/ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى- مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩م ص ١٢٠).

صلاحياته الإدارية والسياسية بنفسه، كما انفرد هذا الخليفة بالحزم والشجاعة[٣].

ففى عهده زاد تربص الخلافة العباسية بالطولونيين وزادت صحوة الخلافة فى عهده وأخذت تنتظر الفرصة المواتية للتخلص من الطولونيين والقضاء على دولتهم[٤]. واستمرت صحوة الخلافة العباسية فى عهد الخليفة الجديد المكتفى بالله[٥] (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م) وتابع طريق الإصلاح السياسى والاقتصادى وكتب له النجاح الواسع. فقام

(١) ابن العديم (كمال الدين عمر بن احمد ابن أبى جرادة توفى سنة ٦٦٠هـ - ١٢٦١م): زبدة الحلب فى تاريخ حلب، تحقيق د/ سامى الدهان-المعهد الفرنسى بدمشق سنة ١٩٥١م، جـ١ ص ٨٧.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠ ص ٤٤.

(٣) هو محمد بن سليمان الحنيفى "منسوب إلى حنيفة السمرقندى" المعروف الكاتب لأنه كان كاتب لخادم "لؤلؤ الطولون"، ولد فى القرن التاسع الميلادى ولم نزل تنتقل به الأيام إلى أن بقى فى بغداد قائد امن القواد الكبار الموثوقين، فقد كان قائداً بارعاً ورجلاً ذكياً لا يهاب الموت، ويعد محمد بن سليمان هو أول وال عباسى بعد إسقاط الدولة الطولونية، وكانت وفاته فى القرن العاشر الميلادى. (ابن عبدالظاهر (أبو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصر ت سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م): الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزبة القاهرة تحقيق د/ أيمن فؤاد سيد - الدار العربية للكتاب - القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م ص ٨٢ - ٨٥؛ المقريزى (أحمد بن على بن عبدالقادر الحسينى تقى الدين المقريزى ت سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، المعروف بخطط المقريزى، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م جـ٢ ص ٦٥، ١٦٧).

بتنظيم القوات المسلحة العباسية والإشراف عليها، وأغدق على الجنود العطاء وأسند قيادتها لمحمد بن سليمان الكاتب(١). وقد تكللت جهود الخليفة المكتفى بالله العباسى بتقليم أظافر الطولونيين وضربهم فى الثغور وشرق بلاد الشام، ومن ثم زعزعت الثقة بهم فى بلاد الشام بكل نياباتها واتخذها قاعدة لانطلاق جيشه الذى خرج بقيادة محمد بن سليمان والذى استطاع القضاء على الطولونيين نهائياً فى مصر كما سنرى(٢).

حملة محمد بن سليمان العسكرية على مصر:

اختار العباسيون محمد بن سيلمان الكاتب قائداً عاماً لغزو مصر، فهو الحاقد القديم على الطولونيين وهو من صنائع الطولونيين وعبيدهم،

(١) هو أبو محمد على بن أحمد المعتضد بالله العباسى، ولد سنة ربيع الآخر فى غزة سنة ٢٦٤هـ،٨٧٧م، ونشأ فى كنف ولده وجده الموفق بالله الذي خصص لتربيته ونشأته خيرة علماء عصر، مما أكسبه درجة عالية من الثقافة والأدب والعلم، وقد شارك فى شئون الحكم والإدارة، فقد عهد والدة عهد إليه والده بولاية إقليم الجبال ث ولاة قنسرين ، ثم عقدت له بيعة الخلافة عند وفاة والده سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م وقد ظل فى خلافته حتى وفاته سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م، وقد أوصى قبيل وفاته بولاية عهده لأخيه جعفر. (السيوطى) عبدالرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى ت سنة ٩١١هـ) ١٥٠٥م): حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق/ حمدى الدمرداش – مكتبة نزار مصطفى الباز – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م ص ٢٧٣).

(٢) البلوى (أبو محمد عبدالله بن محمد بن عمير بن محفوظ المدينى ت سنة هـ/ : سيرة أحمد بن طولون، تحقيق/ محمد كرد على المكتبة العربية – دمشق – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م ص ٣٧٦؛ ابن تغرى بردى (أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغرى بردى ت سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد والقوى – دار الكتب – القاهرة – د.ت. ط١، ج ٣ ص ١١١.

حيث كان كاتب الخادم "لؤلؤ الطولونى، وسخط عليه ابن طولون وكان يود دائماً أن ينكل به حتى قبل أن يقدم على خيانته وفراره إلى بغداد دون أن يصل إليه عقاب ابن طولون.(٣)

وكان اختيار محمد بن سليمان لقيادة الجيش المتجه نحو مصر لمعرفته التامة لأوضاع مصر والشام. والأحقاد الدفينة فى نفسه والتى كانت تدفعه للانتقام من الطولونيين والقضاء على دولتهم.(٤).

ويمكن أن نشير إلى أهم الأسباب المباشرة التى عجلت بإنهاء الدولة الطولونية فى مصر والشام، الأهمية الاقتصادية والغنى المادى لهذين القطرين وخيراتها الوفيرة للخلافة العباسية. والتى انقطعت أثناء الأزمات السياسية وتحكم بها الطولونيين. لذلك كانت الخلافة العباسية تواقة إلى ابتلاع خيرات البلدين، ولهذا دخلت الخلافة العباسية فى خلاف مادى مع هارون الطولونى(١) الذى عجز عن تسديد الأموال التى فرضتها عليه الخلافة العباسية والتى كانت تقدر بـ ٤٥٠ ألف دينار

(١)البلوى: سيرة أحمد بن طولون ص ٣٧٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣- ص ١١٢.

(٢) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ص ٣٧٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١١٢.

(٣) هو أبو موسى هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ولد سنة ٢٦٩هـ / ٨٨٢م وتولى الحكم وهو فى الرابعة عشر من عمره سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م بعد أخيه جيش بن خمارويه، ويعد الرابع من حكام الدولة الطولونية وظل على حكم الدولة حتى وفاته سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م (ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصرى الدمشقى ت سنة ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٠م): البداية والنهاية، تحقيق/ على شيرى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م، جـ ١١ ص ٨٧).

سنوياً، وهذا ما قاد الخلافة العباسية ودفعها إلى محاولة الاستيلاء على مصر بالقوة المسلحة وضياع خيرات الشام ومصر، الأمر الذى عجل بالمصير الطولونى فى مصر(٢).

ففى صبيحة يوم الرابع والعشرون من شهر رجب سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م خرج محمد بن سليمان ومن معه(٣) قاصدين دمشق ومصر لقبض الأعمال من هارون الطولونى وقام الخليفة المكتفى بالله وخلع على جميع القادة بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان والذى كان تحت إمرته عشر آلاف مقاتل(٤).

اتخذ العباسيون من الاستعدادات الكفيلة بالنجاح حيث جهز الحملة بقائد تملك نفسه الرغبة فى تنفيذ هذه المهمة، وأشرك معه جميع القادة الذين عملوا فى خدمة الطولونيين وزادت خبراتهم العسكرية. كما أنهم

(١) حسن أحمد محمود: حضارة مصر فى العصر الطولونى، مكتبة النهضة المصرية القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠م ص ١٧٨؛ د/ محمد أحمد زبور: العلاقات بين مصر والشام فى العهدين الطولونى والإخشيدى – دار حسان للطباعة والنشر – دمشق – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م ص .

(٢) من القادة الذين خرجوا مع محمد بن سليمان محمد بن إسحاق بن كنداجيق، وخليفة بن المبارك المعروف بأبى الأعز، وابن كغلغ، وبندقة بن كمشجور. (الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠ ص ١١٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٠٩).

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠ ص ١١٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٠٩.

على دراية كاملة بأحوال البلاد ومسالكها، كما شارك فى هذه الحملة خيرة مقاتلى جيش الخلافة العباسية من الخراسانيين(١).

وتم تدعيم هذا الجيش البرى بحملة بحرية وأمر الخليفة العباسى المكتفى بالله قائد الأسطول العباسى فى بلاد الشام بالإبحار على الفور والتوجه إلى مصر لمساعدة محمد بن سليمان ومهاجمة القوات الطولونية وقطع كافة الإمدادات عنها التى قد تأتيها من أى منطقة أخرى(٢). اتجه محمد بن سليمان إلى بلاد الشام وأخذ يجتاح مدنها الواحدة تلو الأخرى دون أن يلقى مقاومة تذكر(٣) وقبل أن يدخل دمشق(٤).

---

(١) حسن أحمد محمود: حضارة مصر فى العصر الطولونى ض ١٧٦؛ د/ محمود أحمد زيور: العلاقات بين الشام ومصر ص ١٧٠.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠ ص ١١٨؛ الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى ت سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م): الولاة والقضاة، مهذباً ومصححاً بقلم/ رفن كست – مؤسسة قرطبة – القاهرة د.ت.ط ص ٢٤٥.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٠٩.

(٤) دمشق: بالكسر تم الفتح ثم سكون المعجمة وأخره قاف، مدينة عظيمة قديمة مشهورة قاعدة الشام، وأطلق عليها جنة الأرض لحسن عمارتها وبقعتها وكثرة أشجارها وفواكهها، قيل سميت بذلك الاسم لأنهم دمشقوا فى بنائها – أى أسرعوا – وقيل هو اسم واضعها وهو دمشق بن كنعان بن نوح – عليه السلام – وتعد من أكبر نيابات السلطنة بالشام. وأعظمها قدراً ورفعة ومكانة، حتى أنها عرفت بالنيابة العظمى. (ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله الحموى ت سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان – دار صادر – بيروت – الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م، جـ٢ ص ٤٦٣؛ أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن عمر شاهنشاه ت سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): تقويم البلدان، صححه/ ريفود البارون، مال كوكوين ديسلان – الطبعة الملكية – باريس سنة ١٩٠٧م ص ٣٤٦؛ د/ يحي شامى: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربى – بروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م ص ٥٧).

انضم إليه بدر الحمّامى[٥] الذى كان والياً على الشام، كما قدمت باقى القوات الطولونية فروض الولاء والطاعة وانحاز إليه كبار القادة الطولونيين الذين شاركوا قبل ذلك فى الحروب ضد الخلافة العباسية[٦].

أصبحت مقاومة هارون الطولونى وقواته الضعيفة ضد هذه القوى لا تجدى نفعاً بعد انضمام كافة القادة والقوى إلى العباسيين وانضوائها تحت لواء الخلافة العباسية، إلا أنه صمم على المقاومة، وقاد هارون الطولونى المحاولة الأخيرة، وتجمعت القوات الطولونية البرية عند بلدة العباسة [١]

(١) أبو النجم بدر بن عبدالله الحمامى، ويقال له بدر الكبير، قائد تركى الأصل من أمراء الجيش العباسى. نشأ بمصر وكان من علماء الطولونيين. وقاد جيش خمارويه لقتال القرامطة فى الشام. ثم التحق محمد بن سليمان القادم من بغداد لحرب الطولونيين، خدم الخلفاء العباسيين إلى أن توفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م. (الزركلى (خيرالدين محمود بن على بن فارس الدمشقى ت سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م): الأعلام، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة عشر سنة ٢٠٠٢م، جـ ٢ ص ٤٢).

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٤؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٠٩؛ حسن أحمد محمود: حضارة مصر فى العصر الطولونى ص ١٨٨.

(٣) العباسة: هى بلدة من الديار المصرية أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام ذات نخل طوال ويكثر بها الصيد، وسميت بعباسة بنت أحمد بن طولون، وقد وردت فى بعض المصادر باسم العباسية، لكن هذا الاسم محرف والصواب هو العباسة من أعمال الشرقية التابعة لمركز أبو حماد، ولا تزال معروفة باسم العباسة إلى الآن. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٤ ص ٧٥؛ محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م – دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤م، ق٢، جـ ١ ص ٧٠).

على أطراف حدود مصر الشرقية، بينما كانت طليعة القوات العباسية قد تجاوزت الفرما[٢].

وفى تلك الأثناء كانت القوات الطولونية البحرية بقيادة وصيف القطرميز تستعد لمواجهة القوات البحرية العباسية بقيادة دميانة البحرى، وعند تنيس[٣] انهزم الأسطول المصرى وسقطت المدينة أواخر شهر ذى الحجة سنة ٢٩١ هـ/٩٠٤م فى يد دميانه الذى اتجه على الفور نحو

(١) الفرما: مدينة تقع على الحدود الشرقية لمصر، وهى مدينة حصينة تقع شرقى بورسعيد الحالية، وكانت فى زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق، لأنها فى طريق المغيرين على مصر، أسمها القديم "برآمون" أى بيت الإله آمون، ومن أسمها العبرى برمون، والقبطى "برما" ومن هذا أتى الاسم العربى وهو الفرما وسماها الروم بيلوز، ومعناها الوحلة لأنها كانت واقعة فى منطقة من الأوحال بسبب تغطية مياه البحر لأراضى تلك المنطقة، وقد اندثرت هذه المدينة وتعرف اليوم آثارها بتل الفرما وكان الفتح الإسلامى لهذه المدينة فى الثانى عشر من شهر المحرم سنة ١٩ هـ/ الثالث عشر من يناير سنة ٦٤٠م. (المقريزى: الخطط، جـ ١ ص ٧٩٨؛ يسرية عبدالعزيز حسنى: المدخل الشرقى لمصر دراسة آثار شمال سيناء – هلا للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م ص ٧٢؛ عبد الهادى محمد: تاريخ مصر الإسلامية ص ٣٠ ج١).

(٢) تنيس : بكسر التاء وتشديد النون المكسورة، مدينة كانت موجودة فى شمال شرق بحيرة المنزلة على بعد ٩كم جنوب غرب بورسعيد، وهى موازية للبحر الأبيض المتوسط، وتسمى بحيرة تنيس بين الفرما ودمياط، وكانت ذات حدائق وبساتين ومساجد وأسواق وسميت بذلك نسبة لإحدى ملكات مصر. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٢ ص ٥١).

دمياط[٤] ورفض أهلها الأمان الذى وجهه لهم دميانة غير أن قواتهم انهارت أمام القوات البحرية العباسية، ودخلها دميانه واستولى على المراكب المصرية وأسر بحارتها ورجالها، كما نجح فى قطع الإمدادات عن مصر[١].

وفى نهاية شهر صفر سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥م تقدمت القوات العباسية، وضربت الحصار على الفسطاط والقطائع وذلك فى ولاية شيبان[٢] على

(١) دمياط : مركز محافظة دمياط، رأهم قاعدة للصيد والزراعة والأقمشة الحريرية والأثاث وهى من أشهر مدن دلتا النيل على ساحل البحر الأبيض المتوسط، ينتهى إليها النهر المتفرع من النيل فيصب فى البحر عندها ويقابلها فى الجهة الغربية مدينة رشيد التى ينتهى إليها الفرع الثانى من النيل، وتقع مدينة دمياط على حافة بحيرة المنزلة التى تفصل عن بورسعيد، وفى دمياط حركة تجارية وصناعية نشطة أكثر ما يكون فى صناعة الغزل والنسيج، وصناعة المفروشات والأثاث، وصناعة تعليب الأسما. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٢ ص ٤٧٢؛ البغدادى (صفى الدين عبدالمؤمن عبدالحق البغدادى توفى سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق / على محمد البيجاوى- دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٠٥م، جـ ٢ ص ٥٣٦؛ يحيى شامى: موسوعة المدن العربية والإسلامية حتى ٢٠٠.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٦ – ؛ حسن أحمد محمود: حضارة مصر فى العصر الطولونى ص ١٨٠.

(٣) هو أبو المناقب شيبان بن أحمد بن طولون التركى، خامس وآخر حكام الدولة الطولونية، تولى شيبان حكم مصر بعد مقتل أخيه هارون بن خمارويه وبايعه الناس يوم الأحد ١٩ من شهر صفر سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥م، حاول شيبان إصلاح أمور الدولة لكن لم يستطع. ويرجع سبب شهرته إلى سقوط الدولة الطولونية فى عهده الذى مكث فى حكم مصر أثنى عشر يوماً.(الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٧ – ٢٤٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٣٧).

مصر، فلم تجد نفعاً الجهود التى بذلها شيبان الوالى الطولونى من كسب ود الجنود وتوزيع الأموال، فما كان منهم إلا أنهم بدأوا ينضمون إلى القوات العباسية بقيادة محمد بن سليمان الكاتب ويطلبون منه الأمان، وعند ذلك اضطر شيبان لطلب الأمان له ولأهله من الطولونيين فأعطاهم ذلك محمد بن سليمان الذى لم يحترم هذا العهد كما سنرى[٣] .

ففى يوم الخميس الأول من شهر ربيع الأول سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م دخل محمد بن سليمان وأمر بإحراق القطائع "عاصمة الطولونيين" ورغم الأمان الذى أعطاه محمد بن سليمان للطولونيين، فإن المعاملة التى لاقتها الأسرة الطولونية والخراب الذى أصابهم فى مصر فاق حد التصور، فقام الجنود بإشعال النار فيها حتى صارت – كما وصفها ابن تغرى بردى – "خراباً يباباً"[٤]. فالتهمت النار الدور والمساجد والأسواق والبساتين، وأصبحت تلك المدينة العامر أثراً بعد عين وأمر محمد بن سليمان بنقل الآثار والتحف الطولونية من مصر إلى بغداد[٥] ولم يبق فى مصر غير المسجد الجامع[٦] .

---

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٨، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣ ص ١٣٧.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٣٨ (والبيان: الأرض التى ليس بها ساكن).

(٣) حسن أحمد محمود: حضارة مصر فى العصر الطولونى ص ١٨١.

(٤) يعرف هذا المسجد حالياً باسم جامع أحمد بن طولون. د/ على إبراهيم حسن: مصر فى العصور الوسطى – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤م ص ٨٤.

ولم يكتف محمد بن سليمان ما اقترفه فى حق الطولونيين فى مصر بحرق القطائع وهدم معالمها وآثارها، فقد أمر بذبح الجند الطولونيين الذين حُملوا إليه فكانوا يُذبحون بين يديه كما تذبح الشاه، كما قام بضرب أعناق المصريين الذين قاتلوا مع القوات الطولونية أو من حاول الهرب من أمامه(١).

ونستدل من هذه الأحداث أنه كان هناك من المصريين من يفضل الحكم الطولونى، ويؤثره على ولاة العباسيين، لما وجدوا من استقرار ورخاء فى عهدهم، لذلك أراد محمد بن سليمان استئصال هذا الولاء من قلوب المصريين وطمس جميع الآثار والمعالم الطولونية فى مصر ففعل فيهم ما وصفه ابن تغرى بردى بقوله: "وفعلوا فى المصريين مالا يفعلونه فى الكفرة"(٢) إذا أمر محمد بن سليمان أن يحمل إليه أسرى المصريين، فألبسهم القلانس الطوال وحملوا على الإبل، وطيف بهم فى معسكر القوات العباسية للتشهير والاستهزاء بهم، والسخرية منهم(٣) ، وكان محمد بن سليمان قدوة لقواته، ومضرب المثل لهم فى أخذ الطولونيين والمصريين بالشدة والقسوة، إذ قام جنود القوات العباسية بنهب الفسطاط، وهجموا على دور المصريين فنهبوها واستباحوا كل ما حرمه الله، من هتك الأعراض، وأسر الرجال والنساء حتى هرب أغلب

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٣٨.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ ٣ ص ١٣٨.

(٣) د/ سيدة إسماعيل كاشف/ مصر فى عصر الإخشيديين – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م. ص ١٧.

أهالى مصر(٤) وقد استمروا على ذلك أياماً كثيرة، لا يردعهم رادع حتى ركب محمد بن سليمان وطاف بالمدنية وعمل على تهدئة الأمور فسكن الناس(٥). وهكذا أُعيدت مصر ولاية عباسية بعد أن نالت حظاً من الاستقلال على أيدى الطولونيين استمر ما يقرب من سبعة وثلاثين عاماً حتى طويت صفحات حكمهم بمصر من كتب التاريخ.

ونتيجة لهذا الدمار الذى حل بالطولونيين فى مصر وطمس حكمهم ووأد دولتهم، ظهرت نقمة شعبية رافقت عملية استرداد مصر إلى نفوذ العباسيين، التى استغلها ابن الخلنجى أو بالأحرى ظهرت فى الثورة المسلحة التى قادها هذا الضابط المصرى نتيجة لما حل بالطولونيين فى مصر تجاه دولتهم وحضارتهم(١).

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ص ١٣٨؛ المقريزى: المواعظ والإعتبار، جـ١ ص ٣٢٢.

(٥) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٧.

(١) الكندى: المصدر السابق ص ٢٤٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص ١٤٢.

المبحث الثانى

ثورة محمد بن على الخلنجى ومحاولة إحياء الدولة الطولونية

بعد أن انتهى محمد بن سليمان من تدمير الطولونيين ودثر حضارتهم فى مصر ربما قام به من أعمال وتصرفات تدعو للريبة والأسى، فزاد بعمله هذا سخط المصريين واستياءهم(١)، وكانت سياسة محمد بن سليمان وإبعاده القوى الوطنية وضربه الأعناق والفتك بالشعب، ورغبته فى طمس الفكرة الطولونية ووأدها، وأمره بنقل الأموال والممتلكات الطولونية النفيسة من منسوجات وخيول وغيرها إلى بغداد، ولاحق الطولونيين ومواليهم وأخرج كذلك جميع الأسرة الطولونية وعددهم عشرون شخصاً من مصر إلى بغداد فخلت منهم الديار وحل بهم الذل والتشريد(٢)، وقام محمد بن سليمان بعد ذلك بتوزيع التركة الطولونية على القادة الذين شاركوه في طمس المعالم الطولونية فى مصر، فقام بمكافأتهم وتسليمهم حكم بعض الأقاليم(٣)، ثم بعث بعيسى النوشرى(٤)،

---

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٤٠.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٨؛ حسن أحمد محمود: حضارة مصر فى العصر الطولونى ص ١٨٢.

(٣) قام محمد بن سليمان بتعيين طغج بن جف والياً على أعمال قنسرين، كما أخرج بدر الدين الحمامى والياً على دمشق. (الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٥٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٤٥).

(٤) هو عيسى بن محمد الأمير أبو موسى النوشرى، ولاه الخليفة المكتفى بالله من بغداد على مصر فى جمادى الآخره سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، وكان من جملة القواد الذين قدموا مع محمد بن سليمان عند استعادة مصر من الطولونيين، وظل على ولاية مصر مدة خمس سنوات إلى أن توفى فى شهر شعبان سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م. (المقريزى: المواعظ=

الذى اشترك معه مهمته هذه إلى الخليفة المكتفى بالله يحمل إليه بشائر الانتصار وما إن وصل عيسى النوشرى إلى دمشق حتى وافاه كتاب الخليفة بالعودة إلى مصر وتوليه عليها[٥] فأرسل إليها نائباً من طرفه[٦].

وفى شهر رجب سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م ترك محمد بن سليمان مصر عائداً إلى العراق بعد أن رتب أمورها وعين على أقاليمها الحكام بناء على كتاب ورد من الخلافة العباسية فى بغداد، وما إن وصل محمد بن سليمان القائد المظفر إلى حلب[١] حتى وافاه رسول الخليفة بتسليم ما معه من ذهب ومال وعتاد ومنسوجات وخيول قدرت بحوالى مليون دينار[٢] .

=والاعتبار، جـ١ ص ٣٢٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٦٢؛ السيوطى: حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق/ محمد أبو الفضل – دار إحياء الكتب العربية–القاهرة– الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م، جـ٢ ص ١٢).

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٤٥.

(٦) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٨.

(١) حلب: من المدن المشهورة ببلاد الشام من قواعد الشام القديمة ذات الجوامع والمدارس والزوايا والمساكن الفائقة والمبانى الأنيقة والأسواق الواسعة، وقد اختلف فى سبب تسميتها حلب على قولين أحدهما: أنه كان مكان قلعتها ربوة، وكان إبراهيم – عليه السلام– يأوى إليها ويحلب غنمه، فتقول الفقراء حلب وهو قول بعيد. والثانى: أنها سميت بحلب نسبة لرجل من العماليق اسمه حلب، وهو حلب بن المهرى بن ولد جان بن مكتّف. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٢ ص ٣٠٠؛ القزوينى (زكريا بن محمد القزوينى توفى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد– دار صادر – بيروت– د.ت ص ١٨٣؛ البغدادى (صفى الدين عبدالمؤمن البغدادى توفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٩م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مج١ جـ ١ ص ١٧).

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٦ ص ١١١.

وكان لهذا العمل أسوأ الأثر فى نفس محمد بن سليمان الـــذى أدرك الخليفة أنه لن يرتاح له وتوقع منه الثورة، فما كان من الخليفة إلا أن أمر قواد جيشه فى حلب بالقبض على محمد بن سليمان واعتقاله ثم إرســـاله تحت المراقبة المشددة إلى بغداد(٣) .

فعند عودة محمد بن سليمان إلى العراق اصطحب معه من تبقى من أتباع الطولونيين، وكان ذلك بعد انتهاء ولايته على مصر. فلما بلغ حلب تخلف عنه ضابط من أتباع الطولونيين يسمن محمد بن على الخلنجى(٤) أو إبراهيم الخليجى(٥) ، ومعه عدد كبير من القادة الذين كرهوا الخروج من مصر(٦) فعادوا إليها مرة أخرى ومنهم ابن الخلنجـــى، وكـــان مـــن صغار الضباط الطولونيين إلا أنه كان شجاعاً مغامراً، فعندما رأى مـــا نزل بآل طولون وزوال دولتهم، عزم على إقامة دولتهم مرة ثانية وعندما أبدى هذا العزم لبعض قادة الجند وبعض المصريين، أيدوه بل وحرضوه على العصيان، الأمر الذى عجل بالإسراع بإعلان الثورة، وانضم إليـــه جمع كبير من قادة الجند وبعض المصريين وبايعوه أميراً عليهم، وذلـــك

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب، جـــ١ ص ٩٢.

(٤) ابن أيبك (أبو بكر بن عبدالله بن أيبك توفى سنة ٧٣٦هـــ/١٣٣٥م): كنز الدرر وجامع الغرر، طبعة قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألمانى – القاهرة سنة ١٩٨١م، جـــ٥ ص ٣٣٠.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـــ١٠ ص ١١٩؛ ابن خلدون: العبر، جـــــ ٤ ص ٦٦٤.

(٦) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـــ٣ ١٤٧؛ سيدة إسماعيل كاشـــف: مصـــر فـــى عصر الإخشيديين ص ٢٠.

فى شهر شعبان سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م[١] فلقد كان هذا الضابط وثورته رمزاً للروح الاستقلالية التى تطلع إليها المصريين فعبر عنها بثورته المسلحة التى أعقبت سقوط الطولونيين مباشرة، حيث تولدت عنده روع الرغبة فى الانتقام والحسرة لما آل إليه أمر الطولونيين فى مصر، وعظم عليه أن يشاهد أموال مصر وخيراتها تنقل إلى بغداد، وأن يقضى على الطولونيون بهذه الصورة، فالتفت حوله أعداد كبيرة من الجند والضباط الذين كانوا فى خدمة الطولونيين قبل زوال دولتهم، وكانوا لا يزالون يذكرون عظمة هذه الدولة، كما كرهوا أن يتركوا مصر إلى بغداد وهم لا يعلمون ما ينتظرهم هناك، لذلك وجدت حركة ابن الخلنجى الرغبة عند هؤلاء البقايا الطولونية، فما كان منهم إلا أنهم بايعوه وناصروه على العصيان[٢].

وجد ابن الخلنجى تأييداً كبيراً وعاطفة صادقة وذلك لترحيب الناس به وبدعوته وقبولهم فكرته لما تفشى فيهم من حب الطولونيين وامتلأت صدورهم بالنقمة على العباسيين. فكان الناس يأتون من كل فج لما فى نفوسهم من تشتتهم عن بلادهم وأولادهم وأوطانهم" ودخلوا فى طاعته دون مطمع من غير دينار ولا درهم[٣].

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ ١ ص ٣٢٧.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠ ص ١٢٨؛ ابن تغرى برى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٤٧.

(٣) ابن تغرى بردى: المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤٨.

توجه ابن الخلنجى ومن معه من قوات وأتباع نحو مصر بعد ما عقدوا جميعاً العزم على إحياء الدولة الطولونيه مرة ثانية فتقابلوا فى الطريق مع حاكم دمشق أحمد بن كيغلغ(٤)، ورغم أن المصادر لم تتحدث عن الاصطدام المسلح بينهم إلا أنه انتصر ابن الخلنجى على أحمد بن كيغلغ وقواته، ثم واصل ابن الخلنجى سيره حتى وصل إلى الرملة(١)

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن كبغلغ أبو العباسى من أمراء العصر العباسى، ولد فى بغداد سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م. تركى الأصل، وارتقي فى مرتبة القواد وكان أمير على دمشق سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م مضافاً إليها الأردن، وأخذ ينتقل بين الولايات حتى وفاته سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م. (الذهبى شمس الدين محمد بن أحمد توفى سنة ٧٣٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء تحقيق / أكرم البوشى، شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت سنة ١٩٨٢م جـ ١٤ ص ٢٢٤؛ الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى توفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافى بالوفيات، تحقيق/ أحمد الأرناؤوط، تركى مصطفى – دار إحياء التراث – بيروت سنة ٢٠٠٠ م، ج ٨ ص ٢٦١).

(١) الرملة: تقع مدينة الرملة إلى الجنوب من اللد بفلسطين، وتكاد تلتصق بها فهما كالتوأمين لا يذكر أحدهما إلا وذكر بعد الآخر، وهى فى سهل منبسط فسيح على الطرق الرئيسية الآتية من حيفا وتل أبيب باتجاه بيت جيرين فبئر سبع، وباتجاه كارم فالقدس، وتشتهر مدينة الرملة بزراعاتها وصناعاتها الغذائية على اختلاف أنواعها بالغزل والنسيج وصناعة الأثاث والمفروشات واستخراج زيوت القطن والسمسم، وكانت قديماً من أكبر المدن الفلسطينية، وقد بنى فيها سليمان بن عبدالملك قصراً ومسجداً، كما اشتهرت بهوائها الجيد وكثرة بساتينها. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣ ٢ ٦٩؛ القلقشندى (أحمد بن على بن أحمد القلقشندى توفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٢٢م، جـ ٤ ص ٩٩؛ الحميرى (أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحميرى توفى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م): الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق/ إحسان عباس – مؤسسة ناصر الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى=

وكان واليها العباسى وصيف بن صوارتكين فتقابل معه ابن الخلنجى وهزمه. وقتل عدداً كبيراً من رجاله، وهرب الباقوت بينما دخل ابن الخلنجى وأتباعه مدينة الرملة فى شعبان سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م(٢).

بدأ ابن الخلنجى فى اتخاذ بعض الخطوات التى تضفى على ثورته الطابع الرسمى، فأمر بالدعوة على المنابر فى مدينة الرملة للخليفة العباسى، وبعده لإبراهيم بن خمارويه(٣) ، ثم لنفسه بوصفه قائداً للجند، ونائباً عن إبراهيم بن خمارويه(٤).

وهكذا أبدت بوادر نجاح هذه الثورة وأُجب الناس بقائدها، ورغم أنه أعلن التبعية للخلافة العباسية إلا أن الخلافة اعتبرت ذلك خروجاً عن طاعتها ولم ترض قطعاً بهذا العمل، لذلك قررت استئصال هذه الثورة من جذورها فأوزعت إلى والى مصر عيس النوشرى بتجهيز الجيوش لمقابلته بعد ما زاع أمر ابن الخلنجى وأقبل إليه الأنصار من كل مكان،

=سمة ١٩٨٠م ص ٢٨٢؛ ابن كنان: المواكب الإسلامية. ق ٢ ص ٢٢؛ يحيى شامى: موسوعة المدن العربية والإسلامية – دار الفكر العربي– بيروت– الطبعة الأول سنة ١٩٩٣م ص ٢٠٥).

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٤٧؛ د/ أحمد زبور: العلاقات بين الشام ومصر فى العهد الطولونى والإخشيدى ص ١٧٦.

(٣) كان إبراهيم هذا أسيراً فى بغداد منذ أن أرسل محمد بن سليمان القائد العباسى آل طولون إلى بغداد بعد القضاء على دولتهم. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٤٧؛ د/ سيدة إسماعيل كاشف مصر فى الإخشيديين ص ٢١.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٤٧؛ د/ أحمد زيور: العلات بين الشام ومصر فى العهد الطولونى والإخشيدى ص ١٧٦

بعضهم كان منفياً من مصر. ويرغب فى العودة إليها، وبعضهم كان من مثيرى الفتن والثورات، فزاد عدد أنصاره حتى صار فى جمع كبير[١] فلما سمع النوشرى والى مصر بأمره، أعد له جيشاً صغيراً على عجل. ظناً منه أنها حركة تمرد صغيرة، يسهل القضاء عليها، وتقابل الجيشان عند غزة[٢].

ابن الخلنجى ودخوله مصر:

كانت القوات العباسية بقيادة عيسى النوشرى بينما كانت القوات الطولونية بقيادة ابن الخلنجى والتقى الفريقان عند غزة، وكان النصر حليف ابن الخلنجى فلما دخلت القوات الطولونية بقيادة ابن الخلنجى رجعت القوات العباسية إلى العريش[٣] فلحق بهم ابن الخلنجى وقاتلهم وانتصر عليهم. وكان دخول العريش فى الخامس والعشرين من شهر ذى

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ ١٠ ص ١١٩.

(٢) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وتقع داخل حدود دولة فلسطين المحتلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط فى أقصى جنوب الساحل الفلسطينى، وهى مركز قطاع "غزة" ويقال أنها سميت باسم "غزة" زوجة صور الذى بنى مدينة صور، وبها ولد الإمام الشافعى سنة ١٥٠ هـ/٧٦٨م. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٤ ص ٢٠٢؛ د/ يحيى شامى: موسوعة المدن العربية والإسلامية ص ١٠٣).

(٣) العريش: مركز محافظة سيناء، وقاعدة حريبة مهمة على طريق مصر فلسطين، وهى مدينة ساحلية تقع فى أقصى الشمال الشرقى من مصر على البحر المتوسط فى شبه جزيرة سيناء، قريباً من الحدود المصرية الفلسطينية، تنشط فيها زراعة الحمضيات، وبها صناعات محلية تقليدية ومرفأ لصيد الأسماك. وهى مدينة قديمة تاريخية كانت حرس مصر أيام فرعون، وبها صنوف متعددة من التمور. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٤ ص ١١٤؛ د/ يحيى شامى: موسوعة المدن العربية والإسلامية ص ٢٠٣ – ٢٠٤).

القعدة سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م، ثم فر جيش والى مصر إلى الفرما، ثم إلى العباسة، ونزل ابن الخلنجى وأتباعه الفرما، فلما سمع النوشرى – والى مصر – بهزيمة جيشه، وتتابع انتصارات ابن الخلنجى، أعد جيشاً كبيراً، وتولى قيادته بنفسه واتجه إلى العباسة ومعه عدد من القادة[٤] أما ابن الخلنجى فرحل من الفرما فلما سمع عيسى النوشرى بقدومه كّر راجعاً إلى مصر[٥]، وعبر بر الجيزة[٦] وأحرق المراكب التى عبر عليها. وكانت المراكب تكون جسور العبور إلى الجيزة لكيلا يستطيع ابن الخلنجى اللحاق به، وذلك فى ذى القعدة سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م[١].

وتذكر بعض المصادر أن عيسى النوشرى الوالى المصرى تقابل مع ابن الخليجى عدة مرات، وانهزم فيها النوشرى وجيشه[٢]. لكن الأقرب إلى الصواب ما ذكره الطبرى: أن النوشرى انسحب من أمامه عندما علم

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٤٨.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٤٨.

(٦) الجيزة: مركز محافظة الجيزة، وهى مدينة مصرية من ضواحي القاهرة على ضفة النيل الغربية تشتهر بالأهرامات المسماه باسمها وأبى الهول، وبها حديقة الحيوان، ونباتات، وتشتهر بصناعة السجائر. (د/ يحيى شامى: موسوعة المدن العربية والإسلامية ص ١٩٨).

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١ ص ٣٤٧.

(٢) ابن أيبك: كنز الدور جـ ٥ ص ٣٣٠؛ العينى (بدر الدين محمود العينى توفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق د/ ممد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٨٧م جـ٢ ص ١٤٢.

بكثافة جيشه، وتبين عجزه عن مقاومته[٣]. وقد ظلت الفسطاط[٤] بلا حاكم عليها مدة يومين منذ خروج عيسى النوشرى منها فى شهر ذى القعدة من العام نفسه حتى دخلها ابن الخلنجى فى اليوم السادس والعشرين من الشهر نفسه[٥].

وقد سادت الفوضى بالفسطاط أثناء خلوها من الحكام، ونهبت البيوت والأموال حتى دخلها ابن الخلنجى وأخذ يعيد الأمن والنظام إلى المدينة، فطاف بها فى اليوم التالى لدخوله المدينة وكان يوم الجمعة. فدخل المسجد الجامع وصلى به الجمعة، ودعا له الإمام بعد الخليفة وإبراهيم بن خمارويه[٦]. وقد فرح المصريون بقدوم ابن الخلنجى ودخوله مصر. وابتهجوا بدخوله الفسطاط ربما لإعادته الأمن للمدينة. وردع المفسدين واللصوص، وربما استبشروا بعودة الحكم الطولونى، الذى أعلن ابن الخلنجى أنه يسعى لإقامته مرة ثانية فى مصر، فبدأ ابن الخلنجى أعماله

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠ ص ١١٩.

(٤) الفسطاط: هى إحدى ضواحى القاهرة الكبرى، وكانت أول مدينة بناها العرب فى مصر فهذا يطلق عليها مصر القديمة أو العتيقة، وكانت عاصمة مصر من قبل دخول العرب هى الإسكندرية، لهذا تعتبر الفسطاط أأم القاهرة وأقدم عواصم مصر الإسلامية. (د/ أحمد محمد عوف: مدينة الفسطاط وعبقرية المكان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ٢٠٠٣ ص ٢٣).

(٥) ابن البطريق (أفتيشيوش المكلنى بسعيد ابن البطريق توفى سنة ٣٢٨هـ/ م): التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق – مطبعة الأباء اليسوعيين – بيروت سنة ١٩٠٥م) جـ٢ ص ٧٧؛ المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ ١ ص ٣٢٧.

(٦) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٤٨.

باختيار أصحاب المناصب العليا لمساعدته فى إقرار الأوضاع بالبلاد، فولى ابن موسى النصرانى الوزارة[١]، وأخاه خراج مصر[٢] . ونلاحظ أن أسند أهم منصبين فى الدولة إلى رجلين من الأقباط، وربما أراد ذلك أن يستميل إلى جانبه طائفة الأقباط، وهى ما زالت تكون جزءاً كبيراً من المجتمع المصرى آنذاك[٣]، كما أسند شرطة الفسطاط إلى إبراهيم بن فيروز، وأسند شرطة العسكر إلى عبد الجبار بن أحمد بن أعجر[٤] وبعد

(١)الوزارة: الوزارة فى اللغة العربية لها ثلاث اشتقاقات . أولها: الوِزر. من وزر يزور وزراً، والثانى: الأزر. من القوة، يقال شد أزره أى عاونه وقواه، الثالث الوزر. يقال وزر للملك أى صار وزيراً، وكان المصريون القدماء أول من استخدموا هذا المنصب، ومهمته كانت تنقسم إلى أربعة مهام. الأول: الدفاع عن الملك من الأولياء والثانى: الدفاع عن المملكة من الأعداء. والثالث: دفاع الوزير عن نفس من الأكفاء والرابع: دفاع الوزير عن الرعية من خوف واختلال. (الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى توفى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): أدب الوزير المعروف بـ (قوانين الوزارة وسياسة الملك) – مكتبة الخانجى – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩م ص ١٣؛ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم توفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، تحقيق/ عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٨٦م، جـ ٧ ص ١٤٥؛ كرم البستانى: المنجد فى اللغة العربية – دار المشرق – بيروت – الطبعة ٢٢ سنة ١٩٧٣م ص ٨٩٧).

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٤٨.

(٣) نفسه.

(٤) كان عبد الجبار بن أعجر ابن أحد القادة الطولونيين الذى تولى شرطة الفسطاط قبل ذلك. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ص ١٤٨.

إقراره للأوضاع فى الفسطاط، أقبل إليه الناس من كل مكان، حتى زاد جيشه على خمسين ألفاً[٥]. ثم بدأ ينشغل بأمر عيسى النوشرى، خاصة وأنه مازال والياً على مصر من قبل الخلافة العباسية، فجهز ابن الخلنجى جيشاً لمحاربته، وأسند قيادته إلى خفيف النوبى، فلما علم عيسى النوشرى بأمر هذا الجيش انتقل بقواته فعسكر بالقرب من الإسكندرية، فتبعه خفيف النوبى قائد القوات الطولونية بجيشه حتى اقترب من الإسكندرية، وكان ابن الخلنجى يواصل إمداده بالجند، كما أرسل إليه أسطولاً بحرياً من ست مراكب مليئة بالسلاح والرجال بقيادة محمد بن لمجور، وقد استطاع هذا الأسطول الاستيلاء على مدينة الإسكندرية وأخذ ما بها من أموال تابعة للدولة، وقام بتوزيعها على جنده، ثم جرت بينه وبين النوشرى الوالى المصرى بعض المناوشات لم تسفر عن أى نتائج، فعاد بن لمجور بقواته وأسطوله إلى الفسطاط[٦] .

وقد كتب عيسى النوشرى إلى الخليفة المكتفى يخبره بأمر ابن الخلنجى ويطلب منه الإمدادات، ثم توجه إلى قرية تروجه[١] بمن معه، فتبعه جيش ابن الخلنجى بقيادة خفيف النوبى، ودارت بينهما معركة

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة. نفس الجزء والصفحة.

(٦) المقريزى: الواعظ والاعتبار، جـ١ ص ٣٣٥.

(١) تَـــروجة: بالفتح ثم الضمة، وسكون الواو، قرية صغيرة بمصر من كورة البحيرة ، من أعمال الإسكندرية، وأكثر ما يزرع بها الكمون، وقد درست مساكنها لأن ومحلها قرية كوم تروجة بمركز أبى المطامير بمديرية البحيرة. (البغدادى (: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مج ١ ص ٢٦٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٤ ص ٣٠ هامش ١).

انهزم فيها خفيف النوبى، وقتل عدد من قواته، فكر راجعاً إلى الفسطاط وتوجه النوشرى إلى الصعيد(٢)، وعندما علم الخليفة بأمر ابن الخلنجى أعد جيشاً لمحاربته، والقضاء على ثورته بقيادة أبو الأغر. فوصل هذا الجيش إلى منية الأصبع(٣) وعسكر بها، فخرج ابن الخلنجى بقواته، وجعل على مقدمة جيشه أحمد بن بينك، وقد تقابلت مقدمة الجيش الطولونى مع جيش الخلافة العباسية فهزمته وذلك فى شهر المحرم سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م(٤)، مما يدل على مدى ضعف جيش الخلافة، لدرجة أنه انهزم من مقدمة جيش ابن الخلنجى وليس من الجيش كله، ثم عاد ابن الخلنجى إلى الفسطاط بعد انتصاره وأسره الكثير من جند الخلافة(٥). وعاد أبو الأغر قائد القوات العباسية بجيش الخلافة إلى العراق(٦) فعظم ذلك على الخليفة العباسى المكتفى بالله، وجهز جيشاً آخر وأسند قيادته إلى فاتك المعتضدى ، وجعل معه بدر الحمامى – أحد قادة الطولونيين سابقاً – وجعل على مقدمة هذا الجيش أحمد بن كيغلغ، ومعه جماعة من

(٢) ابن تغرى بردى : المصدر السابق، جـ ٣ ص ١٥١.

(٣) منية الأصبع: تقع فى شرقى القاهرة، وتنسب إلى الأصبغ بن عبدالعزيز ابن مروان. (البغدادى: مراصد الاطلاع، مج٣ ص ١٣٢٧).

(٤) الكندى: الولاة والقضاة ص ٣٥٩.

(٥) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١ ص ٣٢٧.

(٦) العراق: تقع ما بين حديقة الموصل إلى عبادان طولاً وما بين عزيب القادسية إلى حلوان عرضاً، وسمى بالعراقيين الكوفة والبصرة، لأنهما محال جند المسلمين بالعراق، وسمى عراقاً لأن اسمها بالفارسية إيران فعربها العرب وقالوا عراق، وقيل سمى عراقاً لاستواء أرض وخلوها من جبال تعلو وأودية تنخفض. (البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ٢ ص ٩٢٦).

القادة، كما أرسل إلى دميانة قائد الأسطول العباسى بثغور الشام أن يتوجه بأسطوله إلى مصر[٧] وقد سبق له الاشتراك فى القضاء على الحكم الطولونى. فعندما علم ابن الخلنجى بأمر هذا الجيش خرج للقائه، فتقابل مع مقدمة الجيش العباسى بقيادة أحمد بن كيغلغ وذلك فى شهر صفر سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م وقد انتصر ابن الخلنجى على مقدمة جيش الخلافة[١] وعندما علم الخليفة المكتفى بنبأ هذه الهزيمة، جهز جيشاً ثالثاً بقيادة إبراهيم بن كيغلغ، حيث سار هذا الجيش إلى مصر فى شهر ربيع الأول سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م، وكانت الكتب التى ترد إلى الخليفة من مصر تبين له مدى قوة ابن الخلنجى وكثرة أتباعه، مما دفعه للخروج إلى مصر لمحاربة ابن الخلنجى فى شهر رجب سنة ٢٩٣هـ،٩٠٦م، إلا أن فاتك المعتضدى – قائد جيش الخلافة بمصر – أرسل إليه يخبره بالقضاء على ابن الخلنجى قبل أن يتحرك الخليفة إلى مصر[٢]، وكان فاتك المعتضدى قد زحف إلى ابن الخلنجى بعد هزيمة مقدمته، فلما أحس ابن الخلنجى بقوة جيش الخلافة بقيادة فاتك تراجع إلى الفسطاط، وعسكر ببابها، بينما

(٧) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٥٤.

(١) ابن خلدون(عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الأشبيلي المغربي توفي سنة ٨٠٨ه/ ١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق/ خليل شحاتة- دار الفكر- بيروت- الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م، جـ ٤ ص ٦٦٤.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ١٠ ص ١٢١؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٧ ص ٥٤٠.

اتجه فاتك وقواته إلى النويرة[٣]، فعسكر بها، وقد أراد ابن الخلنجى أن يقوم بهجوم خاطف ليلاً على جيش الخلافة، واختار لهذا الهجوم أربعة ألاف من أتباعه، إلا أنهم ضلوا الطريق ولم يستطيعوا الوصول إلى النويرة، حتى أصبحوا، فعلم بهم فاتك فأسرع بجيشه لمحاربة ابن الخلنجى، وتقابل الفريقان، فانهزم ابن الخلنجى وأصحابه وذلك لقلة جيشه. فانسحب مع بعض أصحابه إلى الفسطاط، ولما رأى أمره فى إدبار، حاول الهرب مع قائد أسطوله محمد بن لمجور، إلا أن قائد أسطوله خانه وهرب بمركبه تاركاً ابن الخلنجى على شاطئ النيل[٤]. فدخل الفسطاط مرة ثانية، فانصرف عنه أصحابه، فمنهم من انضم إلى جيش الخلافة، ومن من هرب إلى داخل البلاد، وقد ختبأ ابن الخلنجى فى منزل أحد أصحابه، ويسمى ترك[٥] أو ثوبل[٦]، ودخل أسطول الخلافة العباسية بقيادة دميانة إلى الفسطاط[٧]. ثم وصل عيسى النوشرى ومعه عماله فدخلوا الفسطاط فى شهر رجب سنة ٢٩٣ هـ/ ٩٠٦م. ودخل فاتك المعتضى بجيشه بعدهم فنزل على شاطئ النيل، أما ابن الخلنجى فقد خانه صاحبة الذى اختبأ عنده، وكشف أمره إلى عيسى النوشرى،

(٣) النويرة: هى قرية من أعمال البهنسا بمديرية بنى سويف. (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٥٤ حاشية ١).

(٤) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٥١.

(٥) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦١.

(٦) ابن أيبك: كنز الدار، جـ ٥ ص ٣٣١.

(٧) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦١.

فتوجه إليه مع بعض القادة والجند وقبضوا عليه فى شهر رجب من العام نفسه(١).

وقد استمر حكم بن الخلنجى فى مصر سبعة أشهر وعشرون يوماً وعندما وصل إلى الخليفة كتاب فاتك المعتضدى بخبره بالقضاء على ثورة ابن الخلنجى والقبض عليه، أرسل إليه الخليفة يطلب منه إرسال ابن الخلنجى وأصحابه إلى بغداد(٢)، فأمر فاتك قائد الأسطول – دميانة – بالخروج من مصر وأن يحمل معه ابن الخلنجى وأصحابه إلى أنطاكية(٣)، ثم يرسلهم من هناك عن طريق البر إلى بغداد فى شعبان سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م، ووصل ابن الخلنجى وأصحابه إلى بغداد فى النصف من رمضان سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م، وحضر إلى الخليفة المكتفى بالله

(١) ابن البطريق: التاريخ المجموع، جـ٢ ص ٧٨؛ المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على توفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب اللبنانى – بيروت – لبنان سنة ١٩٥٨م، جـ٢ ص ٥٣٤.

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ٤ ص ٦٦٥.

(٣) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، مدينة من أشهر المدن فى منطقة الشام وآسيا الصغرى تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصى على بعد ٣٠كم من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، و٢٠كم من الحدود السورية، وكانت تتخذها الدولة البيزنطية قديماً عاصمة لمنطقة الشام، حتى وصلها الفتح الإسلامى سنة ١٥هـ/٦٣٦م، على يد أبى عبيده الجراح، وكان الرشيد العباسى قد دخلها فى بعض غزواته، وأصبحت فى عام ١٩٣٩م جزءاً من تركيا ولها ديوان لدخل الكنيسة وخرجها. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ١ ص ٢٦٦؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، جـ١ ص ١٥٠).

فوبخه على أفعاله، ثم طيف به وبأصحابه على الجمال ثم قتلوا بعد ذلك(٤)

(٤) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦٣؛ المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١ ص ٣٢٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ١٥٤.

المبحث الثالث

عودة مصر ولاية عباسية مرة أخرى

استراحت الخلافة العباسية من منافس خطير كاد أن ينجح فى إعادة إحياء الدولة الطولونية، ويحقق أحلامهم، ويضرب بجهود الخلافة العباسية عرض الحائط فكان هذا النصر فرصته كبرى للعباسيين وحقق لهم الحلم وعادت مصر نهائياً فى هذه الفترة للحكم المباشر العباسى(١).

أما بالنسبة للآثار التى رافقت هذه الثورة على الحكم العباسى فى مصر، فكان لفشل ابن الخلنجى زيادة لسوء الأحوال والتى كانت سائدة فى مصر إبّان سقوط الطولونيين وبعدهم، وازداد الولاة فى قبضتهم وتشديدهم على الأهالى وقاموا بإجراءات تعسفية ضدهم(٢).

كما أن هذا النزاع الذى استمر ما يزيد عن سبعة أشهر بين ابن الخلنجى وبين عيسى النوشرى ألقى بالبلاد فى حالة من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار الذى أضر بالبلاد اقتصادياً، ونشر عدم الاطمئنان وشجع على الفوضى، فزادت البلاد خراباً، كما أن ابن الخلنجى احتاج فى صراعه ضد القوات العباسية وتأكيد الأمن فى البلاد إلى الأموال الكثيرة كى يقوم بشراء العناصر ودفع رواتب الجند، وهذا ما أدخله فى مأزق كبير مع الأهالى الذين رحبوا به وتعاطفوا معه، وإذ به يجر البلاد إلى الدمار والهلاك. وفى ذلك يقول ابن تغرى بردى:

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٥٤ – ١٥٥؛ د/ أحمد زيور: العلاقات بين الشام ومصر ص ١٧٨.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ص ١٥٥.

"وزالت دولته وروحه بعد أن أفسد أحوال الديار المصرية وتركها خراباً يباباً من كثرة الفتن والمصادرات، قلت: وأمر محمد هذا من العجائب. فإنه أراد أخذ ثأر بنى طولون والانتصار لهم، غيرة على ما وقع من محمد بن سليمان الكاتب من إفساده الديار المصرية، فوقع منه أيضاً أضعاف ما فعله محمد بن سليمان"(٣).

وقد شغلت هذه الثورة الجامحة الخلافة العباسية وقادتها فترة من الزمن، حتى وجدنا الخليفة المكتفى بالله يتجهز بنفسه للقضاء على هذه الثورة، وقد استطاع ابن الخلنجى أن يكسب فى البداية تأييد الشعب له. وعقدوا آمالهم عليه فى إعادة الحكم الطولونى إلى مصر، وخاصة لما فى نفوسهم من ألم وحسرة على الأعمال التى ارتكبها محمد بن سليمان فى حق المصريين، إلا أن محمد بن على الخلنجى لم يستطع المحافظة على تأييد الشعب وحماسهم له، بل ارتكب من الأعمال السيئة – من مصادرة الأموال وغيرها – ما جعل الشعب المصرى يتخلى عن تأييده، ويتركه وحده فى مواجهة الخلافة العباسية، كما أن الشعب افتقد الأمان والاستقرار الذى كان ينشده من عودة الحكم الطولونى، لذلك رأوا أن تأييدهم لابن الخلنجى لن يعود على البلاد بفائدة. ولن يعيدها إلى ما كانوا يأملون من الرخاء والاستقرار، فتخلوا عنه، حتى أن أقرب أصحابه إليه، وهو الذى أختبأ عنده، كشف أمره، كما أن فشل ابن الخلنجى يرجع إلى أن ثورته لم يكن لها طابع مميز، كالطابع الدينى أو القومى، بل كان كل ما اعتمد عليه هو حب الشعب للطولونيين، فأعلن هدفه بإعادة الحكم

(٣) نفسه.

الطولونيين لهم، إلا أنه لم يتخذ خطوة واحدة لتحقيق ذلك، سوى الدعاء لهم على المنابر، كما كان من أسباب فشله أن جنده لم يكن يجمعهم هدف واحد يسعون لتحقيقه والحفاظ عليه، بل كان بعضهم لا يميل إلى مفارقة مصر ويخشى الذهاب إلى العراق، وبعضهم من مثيرى الفتن والساعين لإشعالها(١)، فكانوا يسيرون مع كل ثائر، والبعض الآخر كان حزيناً على فقد منصبه أو مجد يطمع إليه وهى كلها أغراض لا تصلح أن تكون حافزاً للتضحية من أجلها، بل سرعان ما تتبدد ولا يصبح لها أثر، ويتخلى عنها أصحابها إذا ما واجهتهم المخاطر، لذلك وجدنا بعض جند ابن الخلنجى ينضم إلى جيوش الخلافة العباسية(٢). ونحن لا نستطيع أن نفعل دور الخلافة العباسية فى القضاء عليها، وإن كانت هذه الثورة قد كشفت لنا ضعف قوة الخلافة، وأنه لم يكن ينبغى لهذه الثورة أن تستمر كل هذه المدة، وربما كان لانشغال الخلافة فى محاربة الخارجين عليها(٣).

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠ ص ١١٩.

(٢) د/ سيدة إسماعيل كاشف: مصر فى عصر الإخشيديين ص ٢٣.

(٣) كان لانشغال الخلافة العباسية بثورة محمد بن على الخلنجى والفوضى السياسية التى حدثت فى مصر تأثيره على بلاد الشام، فقد تعرضت الشام إلى تمرد القرامطة وزادوا نشاطهم بسبب انشغال الخلافة العباسية بثورة ابن الخلنجى وغياب والى دمشق أحمد بن كيغلغ الذى اشترك مع القوات العباسية التى كانت مكلفة بإنهاء تمرد ابن الخلنجى والقضاء على ثورته. (الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١ ص ١٢٢-١٢٣؛ أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر – مكتبة المتنى – القاهرة (د.ت) ص ٦١-٦٢).

كما كشفت هذه الثورة عن مدى اضطراب الحكومة المصرية وضعفها فى عهد سيطرة الولاة العباسيين وعجزها عن الدفاع عن مصر واعتمادها الكلى على الخلافة للدفاع عنها(١).

وبعد القضاء على ثورة محمد بن على الخلنجى عاد عيسى النوشرى والى مصر إلى الفسطاط فى شهر رجب سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م. فعمل على إعادة الاستقرار إلى مصر، وإنهاء حالة الفوضى والاضطراب التى كانت تعيش فيها(٢)، ثم تتبع عيسى النوشرى أصحاب وأتباع ابن الخلنجى فى البلاد فقبض على عدد كبير منهم وعلى رأسهم قائد أسطوله محمد بن لمجور، وقام بمصادرة أموالهم وحبسهم(٣)، ثم خرج الأسطول من مصر حاملاً ابن الخلنجى وأصحابه إلى أنطاكية – كما ذكرنا –، أما الجيش بقيادة فاتك المعتضدى فقد بقى فى مصر لإعادة الأمن بها ومساعدة عيسى النوشرى فى إصلاح أوضاع البلاد، والقضاء على أى ثائر قد تسول له نفسه الخروج على طاعة الخلافة العباسية، واتباع الطريق الذى سار فيه ابن الخلنجى. لذلك بقى فاتك المعتضدى فى مصر حتى جمادى الأولى ٢٩٤هـ/ ٩٠٧م، وعنئذ رأى أن الأمور قد استقرت، وعادت

(١) د/ أحمد زيور: العلاقات بين الشام ومصر، ص ١٨٨.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦٢؛ المقريزى: الواعظ والاعتبار ، جـ ١ ص ٣٢٧.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٥٣.

البلاد إلى الأوضاع الطبيعية. فخرج من الفسطاط متوجهاً إلى العراق فى النصف من شهر جمادى الأول سنة ٢٩٤هـ/٩٠٧م(٤).

وكان الخليفة المكتفى بالله العباسى قد أرسل كتاباً إلى عيس النوشرى فى شهر رمضان سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م يتضمن إقراره فى ولاية مصر(٥) . وكان هذا الكتاب بمثابة تجديد للثقة فى ولاية عيسى النوشرى بعدما مر بها من أحداث، حيث يذكر العينى أن الخليفة المكتفى بالله عزل عيسى النوشرى بعد ثورة ابن الخلنجى(٦) ، لفشله فى القضاء عليها، إلا أن هذه الرواية خالفت أغلب المصادر التى تناولت هذه الثورة، ولم نجد فى المصادر المعاصرة للأحداث والقريبة منها ما يؤيدها، لذلك نرى أنها بعيدة عن الصواب، فقد ذكرت أغلب المصادر أن النوشرى ظل والياً على مصر حتى وفاته سنة ٢٩٧ هـ/ ٩١٠م(٧).

وقد بدأ عيسى النوشرى والى مصر بعد القضاء على ابن الخلنجى فى محاولته لإحياء الدولة الطولونية، يهدم أسوار ميدان أحمد بن طولون

---

(٤) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦٦.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٥٣.

(٦) العينى (بدر الدين محمود العينى توفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق د/ محمد محمد أمين – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٨٧م، جـ ١ ص ١٩١.

(٧) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦٦؛ القرطبى (عريب بن سعد القرطبى توفى سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م): صلة تاريخ الطبرى – المكتبة التجارية الكبرى الاسكندرية ١٩٣٩م ص ٢٤).

ومنشأته[١]، وقبل أن الذى أمر بهدمه هو عامل الخراج الحسين بن أحمد الماذرائى، وربما كلف عامل الخراج بهدمه، فهدمه فى شهر رمضان سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م، وبيعت أنقاض، وصار كأن لم يكن[٢]، ولم يكن ذلك لحاجة اقتصادية لأن أنقاضه بيعت بثمن بخس[٣] وربما كان الهدف من وراء ذلك إزالة ما تبقى من آثار الطولونيين، وخاصة بعد تردد ذكرهم إبّان ثورة محمد بن على الخلنجى، وقام عيسى النوشرى بملاحقة أصحاب ابن الخلنجى من الكتّاب والجند وغيرهم وقبض على جماعة منهم وتشرد الباقون، كما قام بالتشديد على الأهالى ومنعهم من مزاولة أوجه نشاطاتهم الاجتماعية، فقد اتخذ عيسى النوشرى قراراً بإغلاق المسجد الجامع بالفسطاط فيما بين الصلوات، ولم يعد يفتح إلا للصلاة فقط، وكان المسجد مصدر نشاط اجتماعى متعدد الأهداف فى تلك الفترة وقبلها، كما لاحق هذا الجند الذين شغبوا عليه فأوقع بهم وظفر بجماعة منهم وقتلهم[٤]. ولم نجد فى المصادر ما يفسر سبب اتخاذ هذا القرار بإغلاق المسجد الجامع بين الصلوات، ونرجح أنه ربما اتخذ هذا

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٥٥.

(٢) المقريزى: الواعظ والاعتبار، جـ ١ ص ٣٢٥.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٣ ص ١٥٥

(٤). الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦٢؛ المقريزى: الواعظ والاعتبار ، جـ ١ ص ٣٢٧.

القرار لمنع تجمع الناس بعد الصلاة حتي لا تنتشر بينهم أى أفكار تهـدد أمن البلاد واستقرارها خاصة العناصر الطولونية(٥).

وبعد القضاء على الحكم الطولونى فى مصر وزوال دولتهم وفشـل محمد بن على الخلنجى فى محاولة إحياء الدولة الطولونية مرة أخـرى، وعودة مصر ولاية عباسية مرة أخرى قام العباسيون بتوزيع تركة العهد الطولونى على العناصر والفئات الكثيرة التى أسهمت فى اقتلاع الجذور والآثار الطولونية(٦)، وقد ظل عيسى النوشرى والياً على مصر، حتـى انتابه المرض فتوفى فى شهر شعبان سنة ٢٩٧هـ/٩٠١٠م. وكانت مدة ولايته علي مصر خمس سنوات وشهرين تقريبا، منها مدة ثـورة ابـن الخلنجي، لأنه ظل خلالها والياً شرعياً من قبل الخلافة(٧).

(٥) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٦٢؛ المقريزى: الواعظ والاعتبار ، جـ ١ ص ٣٢٧.

(٦) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٤٨؛ ابن تغرى بردى: النجـوم الزاهـرة جـ ٣ ص ١٤٨.

(٧) الولاة والقضاة ص ٢٦٧؛ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس المصرى تـوفى سـنة ٩٣٠هـ/١٥٣٤م): بدائع الزهور فى وقائع الدهور بولاق – القاهرة – مطابع الشعب سنة ١٩٦٠م، جـ١ ص ٤٢.

نتائج البحث

الحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

بعد البحث والدراسة توصل البحث إلى عدة نتائج منها:

١- أكدت الدراسة أن الخلافة العباسية لم تشعر بالراحة منذ قيام الدولة الطولونية فى مصر.

٢- بينت الدراسة أن الخلافة العباسية كانت تتربص للدولة الطولونية وتنتظر الفرص المواتية لإسقاط هذه الدولة والقضاء على الطولونيين.

٣-توصلت الدراسة أن دخول القائد المظفر محمد بن سليمان مصر لم يكن حدثاً عادياً، حيث استطاع القضاء على الطولونيين وزوال دولتهم وطمس حضارتهم نهائياً فى مصر.

٤- برهنت الدراسة أن قيام محمد بن على الخلنجى بثورته نتيجة لما فعله محمد بن سليمان بالطولونيين فى مصر بإحراق عاصمتهم وضرب أعناق الطولونيين والمصريين.

٥- بينت الدراسة أن ما أقدم عليه ابن الخلنجى رمزاً للروح الاستقلالية التى تطلع إليها المصريون، فعبر عنها بثورته المسلحة. وهذا ما دفعهم للوقوف بجانبه وتأييد ثورته.

٦- توصلت الدراسة أن ثورة ابن الخلنجى قد كُتب لها النجاح لمدة تزيد عن سبعة أشهر استطاع خلالها تحقيق سلسلة انتصارات على جيوش الخلافة العباسية فى مصر والشام.

٧- أكدت الدراسة أن محمد بن الخلنجى لم يحافظ على هذا النجاح الذى حققه بالانتصار على جيوش الخلافة العباسية وتأييد الشعب المصرى له بسبب الأعمال السيئة مثل مصادرة أموال المصريين، وغير ذلك من الأعمال السيئة.

٨- توصلت الدراسة أن محمد بن على الخلنجى فشل فى محاولة إحياء الدولة الطولونية واستطاعت الخلافة العباسية استعادة مصر من الطولونيين وخضوعها للحكم العباسى المباشر مرة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير (على بن محمد الجزرى المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١-الكامل فى التاريخ، دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧م.

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس المصرى المتوفى سنة ٩٣٠هـ/١٥٣٤م):

٢-بدائع الزهور فى وقائع الدهور – مطابع الشعب – بولاق – القاهرة سنة١٩٦٠م.

ابن أيبك (أبو بكر بن عبدالله بن أيبك المتوفى سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م):

٣-كنز الدرر وجامع الغرر – طبعة قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألمانى – القاهرة سنة ١٩٨١م.

ابن البطريق (أفتيشيوش المكنى بسعيد بن البطريق المتوفى سنة ٢٣٨هـ/٩٤٠م):

٤-التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق – مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت سنة ١٩٠٥م.

البغدادى (صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادى المتوفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٩م):

٥-مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ على محمد البجاوى – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥م.

البلوى (محمد بن عبدالله بن محمد بن عمير المدينى المتوفى فى القرن الرابع هـ/العاشر م):

٦- سيرة أحمد بن طولون، تحقيق/ محمد كرد على – المكتبة العربية – دمشق – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.

ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م):

٧- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى – دار الكتب – القاهرة. د. ت.ط.

الحميرى (أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحميرى المتوفى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):

٨- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق/ إحسان عباس – مؤسسة ناصر الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م.

ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الأشبيلى المغربى المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

٩-العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، تحقيق/ خليل شحاته – دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م.

الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

١٠- سير أعلام النبلاء، تحقيق/ أكرم البوشي، شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت سنة ١٩٨٢م.

السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

١١-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق/ حمدي الدمرداش- مكتبة نزار مصطفي الباز- القاهرة- الطبعة الأولي سنة ٢٠٠٤م.

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م):

١٢-الوافى بالوفيات، تحقيق / أحمد الأرناؤوط، تركى مصطفى – دار إحياء التراث – بيروت – سنة ٢٠٠م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):

١٣-تاريخ الرسل والملوك، تحقيق/ محمد أبو الفضل – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م.

ابن عبدالظاهر (أبو الفضل عبدالله بن عبدالظاهر المصرى المتوفى سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م):

١٤-الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة، تحقيق د/ أيمن فؤاد سيد / الدار العربية للكتاب – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

ابن العديم (كمال الدين بن أحمد ابن أبى جرادة المتوفى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م):

١٥-زبدة الحلب فى تاريخ حلب، تحقيق د/ سامى الدهان – المعهد الفرنسى – دمشق سنة ١٩٥١.

العينى (بدر الدين محمود العينى المتوفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م):

١٦-عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق د/ محمد محمد أمين – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٨٧م.

أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن عمر شاهنشاه المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

١٧-تقويم البلدان، تحقيق ريفون البارون، ماك كوكين ديسلان – المطبعة الملكية – باريس سنة ١٩٠٧م.

١٨- المختصر فى أخبار البشر – مكتبة المتنبى – القاهرة د.ت.

القرطبى (عريب بن سعد القرطبى المتوفى سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م):

١٩-صلة تاريخ الطبرى / المكتبة التجارية الكبرى – الاسكندرية سنة ١٩٣٩م.

القزوينى (زكريا بن محمد القزوينى المتوفى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م.

٢٠-آثار البلاد وأخبار العباد – دار صادر – بيروت – د.ت.

القلقشندى (أحمد بن على بن أحمد القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م):

٢١-صبح الأعشى فى صناعة الإنشا – دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٢٢.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصرى الدمشق المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٠م):

٢٢-البداية والنهاية، تحقيق/ على شيرى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨.

ابن كنان (محمد بن عيسى ابن كنان الدمشقى المتوفى سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م):

٢٣-المواكب الإسلامية والمحاسن الشامية، تحقيق د/ حكمت إسماعيل – مراجعة/ محمد المصرى – منشورات وزارة الثقافة – الجمهورية العربية الثورية – دمشق سنة ١٩٩٣

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى المتوفى سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م):

٢٤-الولاة والقضاة، مهذباً ومصححاً بقلم/ رفن كست – مؤسسة قرطبة – القاهرة – د.ت.

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى المتوفى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م):

٢٥-أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك – مكتبة الخانجى – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩م.

المقريزى (أحمد بن على بن عبدالقادر الحسينى تقى الدين المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

٢٦-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزى – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م.

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م):

٢٧-لسان العرب، تحقيق/ عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٨٦م.

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

٢٨-معجم البلدان – دار صادر – بيروت – الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م.

ثانياً: المراجع:

أحمد زيور (دكتور):

٢٩-العلاقات بين الشام ومصر فى العهدين الطولونى والإخشيدى – دار حسان للطباعة والنشر – دمشق – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٩م.

أحمد محمد عوف (دكتور):

٣٠-مدينة الفسطاط وعبقرية المكان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – سنة ٢٠٠٣م.

جيهان ممدوح مأمون (دكتورة):

٣١-الدولة الطولونية والإخشيدية فى مصر، تقديم د/ قاسم عبد قاسم – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.

حسن إبراهيم حسن (دكتور):

٣٢- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩م.

٣٣- مصر فى العصور الوسطى – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤م.

حسن أحمد محمود (دكتور):

٣٤- حضارة مصر فى العصر الطولونى، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٠م.

الزركلى:

٣٥- الأعلام، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبع الخامسة سنة ٢٠٠٢م.

سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة):

٣٦ – مصر فى عصر الإخشيديين – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٩م.

كرم البستانى:

٣٧- المنجد فى اللغة العربية – دار المشرق – بيروت – الطبعة الثانية والعشرون سنة ١٩٧٣م.

محمد رمزى (دكتور):

٣٨- القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤م.

يحيى شامى (دكتور):

٣٩- موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

يسرية عبدالعزيز حسنى:

٤٠- المدخل الشرقى لمصر دراسة آثار شمال سيناء – هلا للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م.